86
2025

نفسانا الكتاب العربي

اصدارات مكتبية في علوم الطب و النفس

نحو مدرسة عربية في علوم النفس

سلسلة إصدارات مكتبية محكمة

الإصدار السادس والثمانون

عدد 86 - 2025

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

المواطنة كسلوك إنساني
من المنظورين النفسي والإسلامي
عبد الفتاح دويدار

الفهـــــــــرس

مقدمة	9
الفصل الأول المواطنة بين المفهوم والمصطلح	21
مقدمة	21
مفهوم المواطنة	25
التعريف الإسلامي للمواطنة	27
التعريف النفسي للمواطنة	28
البُنى التي يشكلها مفهوم المواطنة	29
1) البنية النفسية الاجتماعية	29
2) البنية السياسية	30
3) البنية القانونية	30
المواطنة في وثيقة الصحيفة المدنية	34
بعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم المواطنة	43
1) مفهوم الهُوية Identity	43
2) مفهوم الوطنية	43
3) مفهوم الانتماء	44
4) مفهوم الولاء	44
5) مفهوم سلوك المواطنة التنظيمية	45
المواطنة في مفهومها الحديث	46
أولاً المواطنة التكيفية	46
ثانيًا المواطنة الفردية	47
ثالثًا المواطنة الناقدة	49

الفصل الثاني المواطنة بين النفس والإسلام	54
تمهيد	54
نشأة المواطنة في صدر الإسلام	54
المعطيات القرآنية للمواطنة	55
المعطيات التاريخية للمواطنة	59
الممارسات الإسلامية في تطبيق التربية المواطنية	61
أهمية المواطنة	73
المواطنة وأهميتها من وجهة النظر الإسلامية	77
المواطنة وأهميتها في الحياة الإنسانية	79
ركائز ثقافة المواطنة	80
الركائز النفسية المواطنة	81
أولاً القيم	82
ثانيًا الاكتساب	82
ثالثًا الممارسة	83
الفصل الثالث حقوق المواطنة وواجباتها	86
تمهيد	86
المواطنة في الإسلام ووضع غير المسلمين	87
الأصول القرآنية للمواطنة	87
صنيع النبوة من أجل المواطنة	91
الذمة عقد لا وضع	93
شواهد تطبيق المواطنة في الإسلام	96
1) التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في فجر الإسلام	96
2) نظرة الإسلام في الخلافات في المعتقد بين الأديان السماوية	98
3) الحل الإسلامي لحسم الخلافات في المعتقدات بين الأديان	100
4) شروط ومبادئ دعوة الناس للإسلام	101
أولاً عدم إكراه الغير أنْ يكونوا مسلمين وما الإيمان إلاَّ بإذن الله	101

ثانيًا الداعي إلى سبيل الله ليس وكيلًا عن الناس في أنْ يهتدوا	105
ثالثًا المسلم مطالب بأن يحفظ نفسه والالتزام بإصلاحها ولا يضرّه من ضل	106
رابعًا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن	107
خامسًا وجوب الإقتداء برسول الله ﷺ لمن يدعو إلى الإسلام	112
سادسًا الدعوة إلى الأخذ بالعفو والأمر بالمعروف والإعراض عن الجاهلين	113
سابعًا على المؤمن الإكثار من ذكر الله والله أعلم بمن ضل عن سبيله	115
ثامنًا الالتزام باللطف في الدعوة إلى سبيل الله تعالى	116
تاسعًا يحرّم على الداعي إلى سبيل الله القتل أو الإفساد في الأرض	116
عاشرًا: التحذير بعدم مخالفة أوامر الله ورسوله ﷺ	116
5) في سياسة الجزية	117
المواطنة في الإسلام بين الحقوق والواجبات:	119
حقوق المواطنة في الإسلام	121
أولاً حق العقيدة والتّدين	121
ثانيًا حق الحماية من العدوان الداخلي	122
ثالثًا حق حماية الحقوق والأبدان	123
رابعًا حق حماية الأعراض	124
خامسًا حق حماية الأموال	124
سادسًا حق كفالة المعيشة عند العجز والشيخوخة والفقر	125
سابعًا حق العمل وكسب الرزق	125
ثامنًا حق عيادة مرضاهم وحضور جنائزهم	126
تاسعًا حق تولية أهل الذمة بعض شئون البلاد الإسلامية	127
عاشرًا حق الحماية من الاعتداء الخارجي	127
المواطنة... في ظلال الأخوة	129
الفصل الرابع قيم المواطنة وأبعادها	141
تمهيد	141
قيم المواطنة	141

(1) قيمة المساواة	142
(2) قيمة الحرية	144
(3) قيمة العدل	144
(4) قيمة المشاركة	145
(5) قيمة المسئولية الاجتماعية	146
أنماط المواطنة	148
1) المواطنة المدنية	148
2) المواطنة السياسية	149
3) المواطنة الاجتماعية	149
4) المواطنة الاقتصادية	149
مكونات المواطنة	150
عناصر المواطنة	151
1) الثقافة	151
2) المجتمع	151
3) الشخصية	152
صور المواطنة	153
الفصل الخامس دور الخدمة النفسية في تعزيز التربية المواطنية	**159**
تمهيد	159
دواعي تنمية المواطنة	160
تعليم المواطنة	161
أبعاد التربية على المواطنة	164
أهداف التربية على المواطنة	164
وسائل تحقيق أهداف التربية على المواطنة	165
مبررات الاهتمام بالتربية من أجل المواطنة	166
أسس تعليم المواطنة	169
تنشئة الأجيال اللاحقة على روح المواطنة	170
دور الإسلام في تدعيم قيم المواطنة	171

دور التنشئة الاجتماعية في دعم التربية المواطنية	172
تنمية روح المواطنة لدى الأطفال	173
دور الجامعة في تنمية قيم المواطنة	175
الفصل السادس المواطنة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية	180
تمهيد	180
الأسس النفسية للممارسة المواطنية	180
1) الوعي	182
2) التنظيم	182
3) المجال العام	182
مستويات الشعور بالمواطنة	183
أثر الاغتراب النفسي على ممارسة سلوك المواطنة	184
المواطنة وعلاقتها بالمسئولية الاجتماعية	187
الفصل السابع واقع المواطنة وتحدياتها	190
تمهيد	190
أزمة المواطنة	191
تحديات الممارسات المواطنية في أوطاننا العربية	193
تحديات العولمة وقيم المواطنة لدى الشباب	194
1) التحديات الثقافية	194
2) التحديات التكنولوجية (التقنية)	195
3) التحديات الاجتماعية	195
4) التحديات الاقتصادية	196
نحو استراتيجية داعمة للانتماء والمواطنة	198
الخلاصة الاستنتاج الختامي	206
فهرست المراجع	215
الملاحق	223
ملحق رقم (1) وثيقة صحيفة المدينة	223

يقول القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانيّ[1]:

"إنِّي رأيتُ أنَّهُ لَا يَكْتُبُ أحدٌ كِتَابًا فِي يومِهِ إلَّا قالَ فِي غدِه، لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَن، وَلَوْ زِيد هَذَا لَكَان يُسْتَحسَن، وَلَوْ قُدِّم هَذَا لَكَانَ أَفْضَل، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لكَانَ أَجْمَل، وهَذَا مِنْ أَعْظَمِ العِبَرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اِستِيلَاءِ النُقصِ عَلَى جُملَةِ البَشَرِ".

ولعلي مدين لقارئي باعتذار واجب.. عمّا سيجده من تكرار أَوْ تقصير يلتقي بِهِ أثناء رحلته عبر أجزاء هَذا الكتاب..

أ.د. عبد الفتاح محمد دويدار..

[1] **راجع:** كتاب "كشف الظنون عَنْ أسامي الكتب والفنون" (1/14) للعلامة: مصطفى بن عبد الله المشهور باسم: (الحاج خليفة أوحاجي خليفة باللهجة التركية)، وَكَذلِكَ كتاب: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم (1/70) للعلامة صديق حسن خان القنوجي، ويقول الشيخ الفاضل مشهور حسن سلمان: كَانَ الأُستاذ أحمد فريد الرِّفاعي (ت 1376 هـ) هُوَ الَّذِي شهَّر هَذِهِ الكلمةَ؛ حَيْثُ وضعها أوَّلَ كلِّ جزء مِنْ أجزاء "مُعجم الأدباء" للياقوت الحمويّ، وغيره مِنْ الكُتب، وتداولَها النَّاس عنه منسوبةً إلَى العماد الأصفهانيّ!!، والصَّواب نسبتُها للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيسانيّ، بعثَ بها إلَى العماد الأصفهاني؛ كما في أوَّل" شرح الإحياء " للزَّبيديّ (3/1)، و"الإعلام بأعلام بيت الله الحرام" لقطب الدِّين محمد بن أحمد النهروالي الحنفيّ (ت 988 هـ).

نقلاً عن: إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد: ص7، الخرج: دار المنار،، ط2.

مقدمـــــة

لم يشهد عصر من العصور ما يشهده عصرنا الحالي من انقلاب للمفاهيم، وتبدل للأفكار، وزرع للمصطلحات، حتى غدا الناس يعانون صعوبة بالغة في تمييز الحق من الباطل، ومعرفة الأصيل من الزائف، والثابت من المتغير، مما نتج عنه ضياع الهُوية الإنسانية، والشخصية السوية

الحمد لله المنعم على عباده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وأصفيائه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم لقائه.

لم يشهد عصر من العصور ما يشهده عصرنا الحالي من انقلاب للمفاهيم، وتبدل للأفكار، وزرع للمصطلحات، حتى غدا الناس يعانون صعوبة بالغة في تمييز الحق من الباطل، ومعرفة الأصيل من الزائف، والثابت من المتغير، مما نتج عنه ضياع الهُوية الإنسانية، والشخصية السوية، حتى أصبحت شخصية غثائية إمعية أفقدتنا التفرد، والتميز، والخيرية وأورثتنا التبعية الذليلة والدونية.

ذلك لأنَّ أخطر ما يُصيب المرء في حياته أنْ تلتبس عليه الأمور، وتختلط أمامه الحقائق، وتشوه المفاهيم، وتتبدل معاني المصطلحات، وتضطرب عنده الموازين، فلا يعرف لنفسه حدودًا يقف عندها، ولا أصولاً يستمسك بها، ولا ثوابت ينافح عنها، ولا مبادئ يُضحي من أجلها، ولا أخلاق يتحلى بها... فتختل تصوراته، ويضطرب سلوكه، وتنمحي شخصيته، وتهتز ثقته في نفسه وينتج عن ذلك شخصية مضطربة ممسوخة، لا تستطيع أنْ تثبت وجودها في إطار فهم واضح، وسلوك قويم في العالم المتوتر المشحون بالغضب واليأس، والانحراف والتمرد، والتباكي على ما آل إليه حال الأوطان.

إنَّ أساس المشاكل في الحياة النفوس الظروف، وكم تعقدت ظروف أمام

أخطر ما يُصيب المرء في حياته أنْ تلتبس عليه الأمور، وتختلط أمامه الحقائق، وتشوه المفاهيم، وتتبدل معاني المصطلحات، وتضطرب عنده الموازين، فلا يعرف لنفسه حدودًا يقف عندها، ولا أصولاً يستمسك بها، ولا ثوابت ينافح عنها، ولا مبادئ يُضحي من أجلها، ولا أخلاق يتحلى بها...

نتفق جميعًا كمسلمين على حقيقة أولية وهي شمولية الإسلام لكل مناحي الحياة، وأنَّ لكل دين عبقريته الخاصة في البحث عن معنى أو قيمة كلية تحقق وجوده في التاريخ

تلك المشاكل بين المخلصين ولكنهم ذللوها بحسن وبتسامحهم وعدلهم، وكم كانت الحلول واضحة ولكن فساد القلوب وخبث النوايا وامواجاج النفوس جعلت تلك الحلول الواضحة معقدة... فالأوطان إنْ سادت بالعلم، بادت بسوء الخُلق والخلط بين الوسائل والغايات.

نتفق جميعًا كمسلمين على حقيقة أولية وهي شمولية الإسلام لكل مناحي الحياة، وأنَّ لكل دين عبقريته الخاصة في البحث عن معنى أو قيمة كلية تحقق وجوده في التاريخ. قد تنبع هذه العبقرية من التحديات التي يواجهها، أو الغايات التي يستهدفها، أو الدور التاريخي المنوط به.

وقد ظهر الإسلام في بيئة قبلية، مثلما كانت وثنية، جمعت بين غياب دين مهيمن، وغياب اجتماع سياسي متعين، حيث كان دم الشخص العربي، الذي تعوزه الحماية القبلية، يُراق على قارعة الطريق. ومن ثمَّ؛ كان عليه مواجهة تحدي مُركب من أبعاد ثلاثة على الأقل؛ فهناك أزمة عقيدة يفرضها تحدي الوثنية. وهناك أزمة مجتمع تتغذى على الهيمنة القبلية. وهناك أزمة حضارة يثيرها التخلف العربي الساحق قياسًا إلى الحضارات المجاورة.

ولأنَّ الإسلام –كدين شامل– هو مشروع لخلاص التاريخ من الانحطاط والفوضى الحتمية التي تنجم عن غياب قوانين العدالة والمساواة، كان للسياسة أهميتها المبدئية في الإسلام، وكانت السلطة، كآلية لتنظيم المجتمع وإدارته، محورية فيه.

عندما كان الإسلام على وشك الظهور قام في مكة حلف الفضول الذي كان يتدخل لنُصرة المظلوم سواء أكان من أهل مكة أم من زوارها. وقد شهد الرسول ﷺ في صباه هذا الحلف وقال عنه فيما بعد لو دعيت به في الإسلام لأجبت.

ويمكن أنْ نُسمي ما سبق في الجزيرة العربية على أنه من إرهاصات المواطنة التي جاء بها الإسلام كاملة، وذلك استنادًا إلى ما يحمله الإسلام من نظرة إنسانية شاملة للوحدة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات

والذي تشير إليه الآيات الكريمة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ (الحجرات: 13).

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**﴾ (النساء: ١).

وقد انطلق الإسلام في نظرته للمساواة من أنَّ السلم هو العلاقة الأصلية بين الناس، ومن ثمَّ فإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية ويتعاونون على خيرها العام، ولكل دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. إلى جانب المساواة فقد كانت مبادئ العدل والقسط والإنصاف من المبادئ الجوهرية التي أكدها الإسلام وجاءت بها آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ (النحل: 90).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ (النساء: 58).

وقد كان أمر الله بالعدل أمرًا عامًا دون تخصيص بنوع دون نوع ولا طائفة دون طائفة. لأنَّ العدل وعدم الظلم نظام الله وشرعه والناس عباده وخلقه يستوون أبيضهم وأسودهم، ذكرهم وأنثاهم، مسلمهم وغير مسلمهم أمام عدله وحكمته.

يأتي أخيرًا وليس آخرًا مبدأ الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليؤكد إلى جانب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، على الحكم بالعدل والقسط والإنصاف فضلاً عن التكافل الاجتماعي بين جميع المسلمين باعتبارهم إخوة. ويأتي المبدأ ليؤكد الكثير من أسس تحقيق المواطنة ليس بالنسبة للمسلمين فقط وإنما لكل غير المحاربين من أهل دار الإسلام مسلمين وغير مسلمين. وهو ما يعني أنَّ الحضارة الإسلامية أكدت على مبدأ المواطنة إلى جانب الأخوة الإسلامية، وارتباطًا بذلك يذكر "آدم ميتز" في دراسته عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أنَّ المسلمين كانوا أكثر تسامحًا مع طوائف النصارى من الدولة الرومانية الشرقية. ويذهب

ظهر الإسلام في بيئة قبلية، مثلما كانت وثنية، جمعت بين غياب دين مهيمن، وغياب اجتماع سياسي متعين، حيث كان دم الشخص العربي، الذي تعوزه الحماية القبلية، يُراق على قارعة الطريق

هناك أزمة عقيدة يفرضها تحدي الوثنية. وهناك أزمة مجتمع تتغذى على الهيمنة القبلية. وهناك أزمة حضارة يثيرها التخلف العربي الساحق قياسًا إلى الحضارات المجاورة

لأنَّ الإسلام -كدين شامل- هو مشروع لخلاص التاريخ من الانحطاط والفوضى الحتمية التي تنجم عن غياب قوانين العدالة والمساواة، كان للسياسة أهميتها المبدئية في الإسلام، وكانت السلطة، كآلية لتنظيم المجتمع وإدارته، محورية فيه

انطلق الإسلام في نظرته للمساواة من أنَّ السلم هو العلاقة الأصلية بين الناس، ومن ثمَّ فإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية ويتعاونون على خيرها العام، ولكل دينه يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وليم سليمان قلادة إلى محاولة تأصيل هذا المبدأ من خلال قوله: "إنَّ استخلاص حقوق الإنسان الدستورية له في الإسلام طبيعة دينية تعددية ظهرت في صحيفة المدينة التي وضعها الرسول ﷺ وجعلت من الجماعة المختلفة في الدين أمة واحدة".

ارتباطًا بذلك، فإننا نجد أنَّ الإسلام والحضارة الإسلامية قدمت مفهوم شامل للمواطنة لا يقصى منه أحد بسبب اختلاف الملة أو الدين أو العِرق أو النوع والتعددية التي يكون عليها البشر إلاَّ أنَّ الانتماء للأمة واحد.

إنَّ أعظم ما في الشريعة الإسلامية أنها تبيح لكل إنسان أنْ يقول ما يشاء أو أنْ يعتقد ما يرى أنه الحق والصواب، وأنْ يدعو إلى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنْ يجادل بالتي هي أحسن.. وألاَّ يجهر بالسوء من القول ولاَ يبدأ به.. وأنْ يعرض عن الجاهلين حتى لو أساءوا إليه... ثم إنَّ أعظم ما في الإسلام أنه يحترم النفس والروح، فالنفس الإنسانية لها حرمتها، فلا يعتدي عليها بأي نوع من العدوان في حياتها أو مالها أو عرضها أو عقيدتها أو أمنها.. وهذه القواعد والأسس الرشيدة التي أسنتها الشريعة الإسلامية تسري على المقيمين في الدول الإسلامية وزائريها، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

بل إنَّ الإسلام يؤكد حق الجائع في أنْ يُطعم، والعاري أنْ يُكسى، والشارد أنْ يؤوى، والمريض أنْ يعالج... بصرف النظر عنْ الملة والدين، حتى لو كان الجائع أو العاري أو الشريد أو المريض منْ قوم عدو للدولة، حيث لا يجوز طبقًا للشريعة الإسلامية أنْ تكون هناك تفرقة في المعاملة بين الناس بسبب اختلاف الدين أو اللغة أو القوم أو الوطن أو اللون أو الحرفة.

وليس هناك في الإسلام ما يخول أحدًا حق حرمان أحد من هذه الحقوق الإنسانية السمحة إلاَّ بمبرر قوي ودامغ من نوع القتال ضد الدولة، أو ما شاكله من أعمال التجسس لأعدائها فيُعاقب بقدر ما أتى من فعل بغيض

حسبما ينص القانون.. وحتى في هذه النقطة يجب التزام العدل الدقيق الذي لا يتأثر بفورة عاطفية أو نعرة إقليمية أو قومية أو طائفية. فالله تعالى يقول في سورة المائدة: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة: 8).

ومعنى ذلك أنَّ الإسلام يعد رعاية واحترام وصون كرامة النفس الإنسانية عنوانًا للعدل الذي أمر به الله كل الناس جميعًا.

ذلك يدفعنا إلى التأكيد على أنَّ الإسلام اتجه في توجهاته الأساسية إلى فرض المواطنة الكاملة لتحل محل المواطنة الناقصة.

فقد تبنى الإسلام الآليات العديدة لعتق العبيد وتحويلهم إلى مواطنين أحرار، وقد كانوا من أصحاب المواطنة الناقصة إلى أصحاب المواطنة الكاملة. كذلك بالنسبة لأصحاب الديانات الأخرى لم يجد الإسلام في اختلاف الدين مبررًا للمواطنة الناقصة ومن ثمَّ فمفهوم الأقليات لا معنى له في الحضارة الإسلامية وإلاَّ اعتبر ذلك إخلالاً بجوهر الإسلام ذاته.

وإذا كانت الثقافة العربية قد فرضت مكانة متدنية للمرأة لكونها ثقافة انطلقت من جاهلية القبيلة العربية والتي فرضت على المرأة مكانة متدنية على عكس مكانة الرجل الذي نظرت إليه باعتباره فارس القبيلة المدافع عن حياضها، بينما المرأة هي المعرضة للسبي الذي يجلب العار للقبيلة. ومن ثمَّ كان الوأد للتخلص من السبي أو العار المحتمل. وهو ما يشير إلى أنَّ المرأة لم تكن تتمتع بنفس حقوق الرجل أو المواطنة الكاملة. وحينما جاء الإسلام ألغى الوأد ورد للمرأة كرامتها وحقوقها الكاملة أي المواطنة الكاملة كالرجل، فالناس سواسية كأسنان المشط.

وهذا ما سنوضحه تفصيلًا – بإذن الله – من خلال الفصول السبعة التي يتناولها كتابنا الحالي...

أمر الله بالعدل أمرًا عامًا دون تخصيص بنوع دون نوع ولا طائفة دون طائفة. لأنَّ العدل وعدم الظلم نظام الله وشرعه والناس عباده وخلقه يستوون أبيضهم وأسودهم، ذكرهم وأنثاهم، مسلمهم وغير مسلمهم أمام عدله وحكمته

أنَّ الحضارة الإسلامية أكدت على مبدأ المواطنة إلى جانب الأخوة الإسلامية، وارتباطًا بذلك يذكر "آدم ميتز" في دراسته عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أنَّ المسلمين كانوا أكثر تسامحًا مع طوائف النصارى من الدولة الرومانية الشرقية

المواطنة كسلوك إنساني من المنظورين النفسي والإسلامي

حيث يشتمل الكتاب الحالي على الفصول التالية:

- **الفصل الأول: المواطنة بين المفهوم والمصطلح.**

فلا يخفى عن الباحثين عمومًا أنَّ هناك فرقًا ما بين المصطلح والمفهوم، فالمفهوم يُحاكي الفكرة، والمصطلح يُحاكي اللفظ الذي يعبَّر عن هذه الفكرة، وأنه عندما نتناول قضية معينة ينبغي أنْ نحرر مقصودنا: هل نتناول المصطلح؛ أي: اللفظ المعبَّر عن هذا المعنى؛ لأنه أحيانًا يعبر عن معانيَ أخرى..؟ أو أننا نتناول المفهوم (الفكرة)..؟.

فالمفهومات حاضرة في أذهان البشر مهما اختلفت عصورهم، نعم تَحْدُث مفاهيم جديدة في حياة الناس، ولكن يسهل إدراكها، أما المصطلح فهو التسمية المعبَّرة عن هذا.

- **الفصل الثاني: المواطنة بين النفس والإسلام.**

أكدت الدولة الإسلامية في سنواتها الأولى أنها دولة الحق والعدل، بنت مؤسساتها التشريعية في أول نص تشريعي على مبدأ المواطنة لرعاياها كافة، في الانتماء والهُوية، وحققت لهم العدل والمساواة.

فالنظام الإسلامي هو النظام القائم على الشريعة الإسلامية، المؤسسة تفاصيله على وفق قواعدها في الاجتهاد والاستنباط والتفسير والتأويل، وغير المسلمين هم شركاء المسلمين في الوطن منذ كانت للإسلام دولة، دولته الأولى في المدينة المنورة، ودوله التي توالت أيامها بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وحتى يوم الناس هذا.

- **الفصل الثالث: حقوق المواطنة وواجباتها.**

في عصر الفتوحات الإسلامية كان المجتمع الإسلامي يعيش تحت مظلته المسلمون وغيرهم من الأديان الأخرى كاليهود والنصارى وغيرهم. أسمى الإسلام غير المسلمين بأهل الذمة، وحدد وقرر ونظم الإسلام لهم حقوقًا تكفل لهم العيش الكريم والأمان في ظل الحكم الإسلامي.

إنَّ استخلاص حقوق الإنسان الدستورية له في الإسلام طبيعة دينية تعددية ظهرت في صحيفة المدينة التي وضعها الرسول ﷺ وجعلت من الجماعة المختلفة في الدين أمة واحدة

أنَّ الإسلام والحضارة الإسلامية قدمت مفهوم شامل للمواطنة لا يقصى منه أحد بسبب اختلاف الملة أو الدين أو العِرق أو النوع والتعددية التي يكون عليها البشر إلاَّ أنَّ الانتماء للأمة واحد

أعظم ما في الشريعة الإسلامية أنها تبيح لكل إنسان أنْ يقول ما يشاء أو أنْ يعتقد ما يرى أنه الحق والصواب، وأنْ يدعو إلى رأيه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأنْ يجادل بالتي هي أحسن.. وألاَّ يجهر بالسوء من القول ولاَ يبدأ به.. وأنْ يعرض عن الجاهلين حتى لو أساءوا إليه

إنَّ أعظم ما في الإسلام أنه يحترم النفس والروح، فالنفس الإنسانية لها حرمتها، فلا يعتدي عليها بأي نوع من العدوان في حياتها أو مالها أو عرضها أو عقيدتها أو أمنها

فالنظام الإسلامي هو النظام القائم على الشريعة الإسلامية، المؤسسة تفاصيله على وفق قواعدها في الاجتهاد والاستنباط والتفسير والتأويل، وغير المسلمين هم شركاء المسلمين في الوطن منذ كانت للإسلام دولة، دولته الأولى في المدينة المنورة، ودوله التي توالت أيامها بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى وحتى يوم الناس هذا.

وأحسب أنَّ قراءة مفهوم المواطنة من خلال التجربة النبوية التي شكل دستورها **(صحيفة المدينة)** المرتكز والنموذج المحتذى به في عملية الارتقاء والتنمية البشرية. لأنَّ تجربة النبي السياسية أسست مجتمعًا فريدًا في إطار زمانه ومكانه قد جمعت فيه طياته بين (الجماعة الدينية – الجماعة السياسية) على أسس الحقوق والواجبات المشتركة مع مراعاة الخصوصيات الدينية لكل لبنة من لبنات مجتمع المدينة، فكانت هذه الحقوق والواجبات المشتركة تقوم على مناط الاعتراف بالغير كقيمة إنسانية، تلتقي في مسارات عدة، كاحترام القانون، والمشاركة في الدفاع عن الوطن، واحترام الدستور، والإنفاق من أجل حماية المجتمع وتطويره.

- **الفصل الرابع: قيم المواطنة وأبعادها.**

إنَّ مضمون مفهوم المواطنة يقوم على مجموعة من القيم والمبادئ والأساسيات الإيجابية والنفسية والأخلاقية، وبذلك فالمواطنة تشكل نسقًا من القيم تتفاعل فيما بينها من جهة أولى، وتتفاعل مع غيرها من القيم الأخرى من جهة ثانية، وجميعها قيم تتحرك نحو المواطن، والوطن، والدولة، والبيئة، والكون بأسره.

استنادًا إلى ما يحمله الإسلام من نظرة إنسانية شاملة للوحدة الإنسانية والمساواة في الحقوق والواجبات، فقد كانت مبادئ العدل والقسط والإنصاف من المبادئ الجوهرية التي أكدها الإسلام، فضلاً عن مبدأ الشورى والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والتكافل الاجتماعي لتؤكد أسس المواطنة، ليسبالنسبة للمسلمين فقط وإنما لكل غير المحاربين من أهل دار الإسلام؛ مسلمين وغير مسلمين. وهو ما يعني أنَّ الحضارة الإسلامية أكدت على مبدأ المواطنة إلى جانب الأخوة الإسلامية.

- **الفصل الخامس: دور الخدمة النفسية في تعزيز التربية المواطنية.**

حيث أصبحت المواطنة من القضايا التي تفرض نفسها بقوة عند معالجة أي بُعد من أبعاد التنمية الإنسانية، ومشاريع الإصلاح، والتطوير الشاملة بصفة عامة، والمواطنة بمفهومها الواسع تعني الصلة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت، ويرتبط بها نفسيًا وجغرافيًا وتاريخيًا وثقافيًا.

فإلى جانب حقوق المواطنة، ينبغي على المواطن في العصر الحديث الالتزام بمجموعة من الواجبات، التي يتحتم عليه احترامها وتطبيقها، وتتمثل في اعتماد أساليب التعايش السلمي والقبول بالآخر، والدفاع عن حقوق الإنسان وممارستها. كما يلتزم المواطن بتجنب العنف الجسدي واللفظي، وحلّ المشاكل السياسية والمهنية والاجتماعية من خلال الحوار والتواصل والإقناع والاقتناع، ونبذ العنف بكل أشكاله والتطرف في المواقف والأفكار السياسية والدينية. وهي قيم وممارسات تتطلب مناهج وممارسات تربوية لغرسها وتدعيمها عند الأجيال الصاعدة، من المدرسة إلى الجامعة.

كل ذلك يتطلب أفرادًا أكفاء، لهم قدرات وكفاءات نفسية وتربوية وعلمية، تتمثل في الثقة بالنفس والإيجابية، والقدرة على التعبير، وتحمل المسئوليات. كما تتطلب الرغبة في المشاركة في الحياة الاجتماعية، وممارسة الحقوق والواجبات. وهو ما يمكن للمدرسة المساهمة في إيجاده، من خلال أخذ البعد البشري، وقيم المواطنة، وممارساتها بعين الاعتبار في إطار المنظومة التربوية بمناهجها وممارساتها التعليمية، وأساليب الإدارة التربوية المتبعة. كما أنَّ ذلك يتطلب ربط المدرسة بالمجتمع المدني والمجتمع عمومًا، وإشراك

إنَّ الإسلام يؤكد حق الجائع في أنْ يُطعم، والعاري أنْ يُكسى، والشارد أنْ يؤوى، والمريض أنْ يعالج... بصرف النظر عنْ الملة والدين، حتى لو كان الجائع أو العاري أو الشريد أو المريض منْ قوم عدو للدولة

ليس هناك في الإسلام ما يخول أحدًا حق حرمان أحد من هذه الحقوق الإنسانية السمحة إلاَّ بمبرر قوي وحاسم من نوع القتال ضد الدولة، أو ما شاكله من أعمال التجسس لأعدائها فيُعاقب بقدر ما أتى من فعل بغيض حسبما ينص القانون

التلاميذ والطلبة في التعامل الإيجابي مع المحيط، من خلال المساهمة في حملات التطوّع، والتكافل الاجتماعي، والحفاظ على البيئة، وتبني أساليب التنمية المُستدامة. كما تسهم قيم المواطنة في توحيد الفكار والاتجاهات بين أفراد الدولة الواحدة، مما يجعلها ضرورية لبناء الدولة العصرية.

- **الفصل السادس: المواطنة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية.**

يسعى الإنسان منذ طفولته إلى تحقيق حاجة أساسية لديه، وهي الارتباط بمن حوله، وتعلقه بهم ليشعر بالأمن النفسي بين أفراد أسرته، ثم يتسع مجال علاقته بالآخرين خارج الأسرة في مرحلة البلوغ والمراهقة، ويتحلى بأخلاق الجماعة، ويصبح اجتماعيًّا أكثر من مرحلة الطفولة، فيخلص ويضحّي ويتعاون؛ ولهذا؛ يبزغ الانتماء بوعي وانتقاء، ويتطوع ويُضحي من أجل الأفراد والمجتمع، ويعيش الإنسان في جماعات منذ عصور قديمة بتآلف وبتبادل المصالح والأدوار لتستمر الحياة، وعرفت الأسرة بدورها الأساسي في تنمية الانتماء بين أفرادها ثم المحيطين ممن كونوا جماعات أكبر وقبائل وجماعات وقرى ومدنًا وأوطانًا أكبر عددًا وأكثر اتساعًا، وبذلك تتعدد الانتماءات، ثم الأوطان المتشابهة، وتعطي القوميات للتشابه في اللغة، والموطن، والتاريخ، والجغرافيا، والمكان، والبشر، وحتى وحدة المعاناة والاحتلال والمقاومة تنمي الانتماء، بل وتبرزه لدى أبناء الوطن الواحد أو القوميات التي تشتمل على العديد من الأوطان، فعلى هذا الأساس تنشأ المواطنة وتترسخ.

- **الفصل السابع: واقع المواطنة وتحدياتها.**

رُغمَّ الجهود التي يبذلها المسئولون السياسيون والمربون العرب، من أجل تدعيم قيم المواطنة عند التلاميذ والطلبة، من خلال الممارسات والمناهج التربوية، إلاَّ أنَّ النتيجة تبقى غير كافية. ورُغمَّ عدد النصوص الدراسية

أنَّ الإسلام يعد رعاية واحترام وصون كرامة النفس الإنسانية عنوانًا للعدل الذي أمر به الله كل الناس جميعًا

أنَّ الإسلام اتجه في توجهاته الأساسية إلى فرض المواطنة الكاملة لتحل محل المواطنة الناقصة

تبنى الإسلام الآليات العديدة لعتق العبيد وتحويلهم إلى مواطنين أحرار، وقد كانوا من أصحاب المواطنة الناقصة إلى أصحاب المواطنة الكاملة

والمقررات التي تتطرق إلى حبّ الوطن، والمواطنة والمواطن الصالح، إلاَّ أنَّ المتتبع لواقع المجتمعات العربية عمومًا، يُلاحظ درجة مرتفعة من تذمّر الشباب وعدم رضاهم عن واقعهم.

إنَّ هذه الرؤية التجديدية لمفهوم المواطنة وقضية الانتماء للدولة العادلة التي تقوم على تراتيب إصلاحية للإنسان والبنيان وإنْ كانت لا تدين بدين سماوي أصلاً كما يمكن في ذلك مما ذهب إليه ابن تيمية عند حديثه عن عدل الله سبحانه في نصرته للدولة الكافرة العادلة؛ أرضًا وقانونًا وشعبًا، وعدم نصرته للدولة المسلمة الظالمة، فقال: (الله ينصر الدولة العادلة وإنْ كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة).

ويبقى القول من اتهامات بعض الكتاب والمثقفين في الغرب أو حتى من بعض الكتاب العلمانيين في بعض الدول العربية والإسلامية، أنَّ الإسلام أغفل مفهوم المواطنة في الدولة التي أقامها، وكان فيها تمايز بين سكانها المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، إذ حددت مفهومي المواطنة والهُوية على أساس الانتماء للدين الإسلامي فقط.

وهم بذلك يتغافلون أو يغيبون حقائق التاريخ التي تدحض مصادره ووثائقه هذا الادعاء، وتؤكد على بطلانه، بل هي تشير إلى أنَّ البناء الأول للدولة الإسلامية حين كانت في طورها الجنيني، قد تم تأسيسه على مفهوم المواطنة من خلال تحديد هوية الانتماء للدولة لجميع رعيتها من خلال تحديد الحقوق والواجبات.

فمن يراجع الوثائق التاريخية التي تتحدث عن تأسيس الدولة الإسلامية بعد انتقال الرسول ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في العام الأول للهجرة 622، سيجد مفهوم المواطنة قد أرسي في المنطلقات الأساسية للدولة الإسلامية، فالمُدقق في مضمون الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ والتي هي أول دستور في الإسلام، سيجد فيها مبدأ المواطنة من خلال هوية الانتماء.

عندما نتناول قضية معينة ينبغي أنْ نحرر مقصودنا: هل نتناول المصطلح؛ أي: اللفظ المعبَّر عن هذا المعنى؛ لأنه أحيانًا يعبر عن معانيَ أخرى..؟ أو أننا نتناول المفهوم (الفكرة)..؟.

المفهومات حاضرة في أذهان البشر مهما اختلفت عصورهم، نعم تَحْدُث مفاهيم جديدة في حياة الناس، ولكن يسهل إدراكهما، أما المصطلح فهو التسمية المعبَّرة عن هذا.

فالصحيفة التي تُعد في نظر المؤرخين والباحثين والقانونيين من أهم وثائق التاريخ العربي الإسلامي، باعتبارها أولى أشكال التنظيم السياسي والإداري والاجتماعي للدولة، أرست مفهوم المواطنة لرعايا الدولة دون النظر إلى الانتماء الديني والقبلي، من خلال طرحها لشعار المساواة في التكاليف الدنيوية تجاه الدولة لجميع رعاياها، ومن المعروف إنَّ المساواة هي أولى مقدمات المواطنة المؤسسة على الحرية والديمقراطية في العُرف الإنساني المعاصر.

وهكذا أكدت الدولة الإسلامية في سنواتها الأولى أنها دولة الحق والعدل، بنت مؤسساتها التشريعية في أول نص تشريعي على مبدأ المواطنة لرعاياها كافة، في الانتماء والهُوية، وحققت لهم العدل والمساواة.

هذا ويُختتم الكتاب، بتعقيب عام واستنتاج ختامي، وقائمة المراجع ومصادر البحث، وملحق: وثيقة صحيفة المدينة.

ولا شك أنه من خلال هذه التجربة التي لها السبق الزماني، يمكن للفكر الإسلامي السياسي المعاصر أنْ ينظر إلى فلسفة مفهوم الذمة من عبر أبعاده الإيجابية المتنوعة، على أساس المصالحة بين النص والتجربة، الإنسان والأرض، واستبدال الانتماء إلى الأرض مكان العشيرة والقبيلة والعِرق، والقانون العام بدلاً من الخصوصية الدينية، حيث تتقلص بذلك دائرة الاستقطاب الدلالي العِرقي لصالح الاستيعاب الدلالي للأرض، وينحصر الاحتماء بالطائفية الدينية لصالح الانحياز إلى القانون والدستور العامي، حتى أصبح الشعور بالانتماء مثلاً لأهل مكة أرقى من الانتماء إلى قريش، والانتماء لأهل المدينة أكثر تحضرًا من الانتماء إلى بطون القبائل أو الطوائف الدينية، كذلك الانتماء للدولة العادلة أرقى من الانحياز إلى قبيلة أو حزب وإنْ كبر، ويصبح الانتصار للقانون الذي يحقق العدالة والمساواة بين الناس أفضل من الانتماء إلى طائفية تفرق ولا تجمع، وتظلم ولا تعدل.

أكدت الدولة الإسلامية في سنواتها الأولى أنها دولة الحق والعدل، بنت مؤسساتها التشريعية في أول نص تشريعي على مبدأ المواطنة لرعاياها كافة، في الانتماء والهُوية، وحققت لهم العدل والمساواة

النظام الإسلامي هو النظام القائم على الشريعة الإسلامية، المؤسسة تفاصيله على وفق قواعدها في الاجتهاد والاستنباط والتفسير والتأويل، وغير المسلمين هم شركاء المسلمين في الوطن منذ كانت للإسلام دولة

إنَّ مضمون مفهوم المواطنة يقوم على مجموعة من القيم والمبادئ والأساسيات الإيجابية والنفسية والأخلاقية، وبذلك فالمواطنة تشكل نسقًا من القيم تتفاعل فيما بينها من جهة أولى، وتتفاعل مع غيرها من القيم الأخرى من جهة ثانية، وجميعها قيم تتحرك نحو المواطن، والوطن، والدولة، والبيئة، والكون بأسره

أنَّ البناء الأول للدولة الإسلامية حين كانت في طورها الجنيني، قد تم تأسيسه على مفهوم المواطنة من خلال تحديد هوية الانتماء للدولة لجميع رعيتها من خلال تحديد الحقوق والواجبات

وتنبع أهمية هذا الكتاب، من أهمية مفهوم المواطنة، الذي يُعد أساس الاستقرار النفسي والاجتماعي، وتنبع أهميته النظرية من إسهامه في وضع معلومات للمشكلة المدروسة، وتتمحور أهميته التطبيقية أساسًا في توضيح السبل الكفيلة بتدعيم مفهوم المواطنة لدى الفرد كسبيل أمثل للمحافظة على الاستقرار النفسي، والاجتماعي، والهُوية الوطنية بمختلف أبعادها، كما تسهم في التعرف إلى الأدوار التي تسهم في تعزيز مفاهيم المواطنة وقيمها في الميدان النفسي والتربوي والسياسي والاقتصادي، وزيادة وعي الأفراد بأهمية مفهوم المواطنة، فضلاً عن ما يقدمه من تصور حول مفهوم المواطنة من المنظورين النفسي والإسلامي، نظرًا للأهمية الكبيرة للمواطنة في المجتمع باعتبارها العنصر الرئيس في خلق تنمية شاملة في ظل مجتمع ديمقراطي يقوم على الحرية والعدالة والمساواة، وقيم التسامح والتعاون والتكامل الاجتماعي بما يسهم في دعم وتقوية دعائم البناء النفسي والاجتماعي.

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق،،،

المؤلف...

أ.د. عبد الفتاح محمد دويدار

الفصل الأول: المواطنة بين المفهوم والمصطلح

لا يخفى عن الباحثين عمومًا أنَّ هناك فرقًا ما بين المصطلح والمفهوم، فالمفهوم يُحاكي الفكرة.. والمصطلح يُحاكي اللفظ الذي يعبَّر عن هذه الفكرة.

عندما نتناول قضية المواطنة نتناولها من حيث المفهوم، ونُنْزل هذا المفهوم ونسقطه على النصوص الإسلامية، أو النصوص الشرعية

مقدمة:

لا يخفى عن الباحثين عمومًا أنَّ هناك فرقًا ما بين المصطلح والمفهوم، فالمفهوم يُحاكي الفكرة.. والمصطلح يُحاكي اللفظ الذي يعبَّر عن هذه الفكرة.

وعندما نتناول قضية معينة ينبغي أنْ نحرر مقصودنا، هل نتناول المصطلح؛ أي: اللفظ المعبَّر عن هذا المعنى؛ لأنه أحيانًا يعبر عن معاني أخرى..؟ أو أننا نتناول المفهوم (الفكرة)..؟، وفرق كبير ما بين المفهوم والمصطلح كما ذكرت.

والمفهومات حاضرة في أذهان البشر مهما اختلفت عصورهم، نعم تَحْدُث مفاهيم جديدة في حياة الناس، ولكن يسهل إدراكها، أما المصطلح فهو التسمية المعبرة عن هذا.

ولسنا نتناول اختلاف اللغات في التسمية، وإنما نتناول اختلاف الاصطلاح في اللغة الواحدة، فالاصطلاح يختلف من وسط إلى وسط، ومن عِلم إلى عِلم، بل أكثر من ذلك يختلف من باحث إلى باحث أحيانًا في العِلم الواحد.

وينبغي أنْ نحرر أنَّ المواطنة من حيث المصطلح.. من حيث اللفظ (لفظ المواطنة) لا وجود لها في الأدبيات الإسلامية.

أما من حيث المفهوم ومن حيث الفكرة، وبوصفها علاقة، أو غير ذلك.. فهذا لا غُبار على أنه موجود، بل حاضر وبشدة في النصوص الشرعية وفى الأدبيات، وفى الواقع الإسلامي السياسي، والواقع التاريخي.

فعندما نتناول قضية المواطنة نتناولها من حيث المفهوم، ونُنْزل هذا المفهوم ونسقطه على النصوص الإسلامية، أو النصوص الشرعية، والأدبيات الإسلامية. لأننا أَسَّسنا بداية أنَّ المواطنة بوصفها مصطلحًا، وبوصفها لفظًا لا وجود لها في النصوص الشرعية. أما بوصفها فكرة فهي موجودة، وهي حاضرة في أكثر من نص، وفي أكثر من علاقة، وفي أكثر من واقعة وحادثة في التاريخ الإسلامي.

لذا؛ إننا نتحدث عن المفهوم الذي هو المواطنة، ونريد أنْ نرى إسقاطات هذا المفهوم في النصوص الشرعية أو في الرؤية الإسلامية.

فقضية المواطنة تبدو أهميتها في المجتمعات ذات الثقافات المتعددة على المستوى العِرقي، أو على المستوى الديني، أو حتى على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فحيثما وُجد التعدد وُجد تعارض المصالح ابتداءً؛ لذلك لا بد من حالة التوفيق فيما بين هذه الثقافات، وهذه المعتقدات.. هذه المفاهيم المكنوزة في أذهان أصحابها عندما يَحيَون في زمان واحد، وفى مكان واحد تفتقر إلى علاقة صحيحة توفق بين أصحابها، المواطنة تتناول العلاقة – كما سنستبين بعد قليل – بين أفراد يَحيَون في زمان واحد وفى مكان واحد، فإذا ما كانت هذه المجموعات مختلفة في ثقافاتها، ومختلفة في معتقداتها، برزت حالة الصدام، أو على الأقل تَأهلتْ حالة الصدام لأنْ تبْرز، ومن هنا كان لا بد من ثقافة التوحيد. لا بد من ثقافة المواطنة.

فالمواطنة تربتها الزمان والمكان الذي يعيش فيه قدر معين من البشر، وتتجلى ضرورتها عندما تتعدد ثقافات هذه المجموعات البشرية؛ سواء أكانت في إثنيات عِرقية أم دينية، أو غير ذلك.

وقد برزت محاولات كثيرة لتحل هذا الإشكال، ولاسيما التي تتناول فكرة تشكيل الدولة، ونظريات الدولة، وتأسيس الدولة. قد برزت هذه المحاولات

قضية المواطنة تبدو أهميتها في المجتمعات ذات الثقافات المتعددة على المستوى العِرقي، أو على المستوى الديني، أو حتى على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فحيثما وُجد التعدد وُجد تعارض المصالح ابتداءً؛ لذلك لا بد من حالة التوفيق فيما بين هذه الثقافات، وهذه المعتقدات

إنَّ التنوع البشرى في المنظور الإسلامي هو مجال خصوبة، بل هو آية من آيات الله فَبيَّنَ منها عزَّ وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾

لإذابة هذه الفوارق، لكنها لم تنجح مُطلقًا؛ ذلك أنَّ هذه الفوارقَ فوارقُ ضرورية، والدفاع عنها قضية فطرية؛ لأنَّ الإنسان لم يحُدِث ثقافته التي عاش فيها، ولا يوجد مخلوق بشري صَنعَ فِكْرَهُ باستقلال مُطلق، وإنما أسهم في صناعة فِكرِه، ولكن سبقته ثقافة المجتمع الذي يحياه، فشكلت له ثقافة المجتمع ليس إرثًا فحسب، بل هُويةً ولونًا وذوقًا أصبح يتمايز من خلاله عن الآخرين.

فهذا اللون الثقافي لم أصنَعْهُ أنا، ربما أسهمتُ فيه، لكنه كان أسبق مني: في الوطن، أو في المجتمع، أو في الدين، أو في الثقافة، أو في البيئة والوسط، أو في المهنة.

لذلك؛ فإنَّ التنوع البشرى في المنظور الإسلامي هو مجال خصوبة، بل هو آية من آيات الله فَبيَّنَ منها عزَّ وجل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ (الروم: ٢٢).

فهذا من آيات الله، وهو شيء ضروري، وثقافة التنوع والاختلاف في النصوص الشرعية واضحة جدًا، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ (هود: ١١٨، ١١٩).

فالتنوع الثقافي، والتنوع العِرقي، وحتى التنوع الاعتقادي يُمثل صورة من صور الخصوبة المعرفية؛ لذلك قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ (الحجرات: ١٣). التفاعل – أقصد الوزن الصرفي – فيه نوع من التبادل.. وفى أي شيء يكون ذلك..؟.

إنَّ النص القرآني يبين أنه في المعرفة. فالتنوع يمثل حالة من حالات الخصوبة المعرفية، ولا يمكن أنْ تتحول هذه الصورة من التنوع إلى حاجز من الانكفاء أو التقوقع أو النرجسية والانكماش على الذات، والنظرة إلى الدم الأزرق، أو إلى العِرق الصافي الخالص.

التنوع الثقافي، والتنوع العِرقي، وحتى التنوع الاعتقادي يُمثل صورة من صور الخصوبة المعرفية؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

التنوع يمثل حالة من حالات الخصوبة المعرفية، ولا يمكن أنْ تتحول هذه الصورة من التنوع إلى حاجز من الانكفاء أو التقوقع أو النرجسية والانكماش على الذات، والنظرة إلى الدم الأزرق، أو إلى العِرق الصافي الخالص.

وإذا برزت هذه الصورة السلبية نكون قد تحولنا لحالة (لتحاربوا) إما ثقافيًا أو حقيقة، بدلاً من التعارف.

بينما نجد أنَّ التنوع ما خلقه الله عز وجل إلاَّ من أجل خصوبة المعرفة: لِتَعَارَفُوا.. ومن ثَم؛ فإنَّ كل محاولات إذابة الفروق على أي مستوى كان، إنما هي محاولة لمصادمة الفطرة، ولا أعني أبدًا المجال الذي يقبل التصحيح من الاختلافات، وإنما أعني مجالاً لا يقبل التصحيح؛ لأنه يمثل لأصحابه هُوية، أما ما يمكن بالحوار وبالنظر وبنحوه أنْ يزول فلا بد من بذل الجهد لكي يزول، والحوار خُلق من أجل هذا.. ولكن يبقى مقدار معين، هو لونى، هو عِرقي، هو الفلسفة الحاكمة التي تحكم ثقافتي، هذا كله يمثل لي لونًا ثقافيًا كلوني العضوي.

أنَّ التنوع ما خلقه الله عز وجل إلاَّ من أجل خصوبة المعرفة: لِتَعَارَفُوا.. ومن ثَم؛ فإنَّ كل محاولات إذابة الفروق على أي مستوى كان، إنما هي محاولة لمصادمة الفطرة

فهذه الأشياء وأمثالها تمثل حالة من حالات الخصوبة، وأيُّ توجهٍ لإزالتها أو لإذابتها يمثل صدامًا للفطرة والبداهة؛ لذلك؛ لم تنجح المحاولات التي أُريد منها إذابة الفوارق الدينية أو العِرقية أو الثقافية أو الحضارية، ولن تنجح؛ لأنها تتناول سُنة من سنن الله عز وجل قَضى في الأزل سبحانه، إنها باقية؛ لترفد هذه البشرية بالمعرفة المتزايدة، فجاءت فكرة المواطنة وبرزت بقوة؛ لتدافع عن هذه الخصوصيات، ولتقوم بعملية توفيق بين هذه الأخلاط المتنوعة، ولتحول دون أنْ تتصادم.

إنَّ حالة التنوع الثقافي لا تؤدي بطبيعتها إلى الصدام، ولكن في ظروف خارجية تؤهل للصدام، فتأتي فكرة المواطنة لتخفف من غلواء هذا التمايز؛ حتى لا يصل إلى مرحلة التصادم. يتمايز البشر ولكن ثمت[*] مجال لا بد من أنْ يلتقوا فيه.

فمحاولات إذابة الفوارق، أو تناسي الفوارق، أو إبراز فكرة على فكرة، أو عِرق على عِرق، أو مذهب على مذهب، أو طائفة على طائفة، تمثل أزمة كاملة تَقبل البُروز في حالات مَرَضية فيروسية يمكن أنْ تتحرك مع تحرك الرياح العالمية.

لذلك لا بد من طرح قضية المواطنة من خلال هذا الإطار الحريص على وحدة الأمة، الحريص على غناء الثقافة والمعرفة، المُدرك لماضي هذه الأمة، المستشرف لمستقبلها الواعد.

محاولات إذابة الفوارق، أو تناسي الفوارق، أو إبراز فكرة على فكرة، أو عِرق على عِرق، أو مذهب على مذهب، أو طائفة على طائفة، تمثل أزمة كاملة تَقبل البُروز في حالات مَرَضية فيروسية يمكن أنْ تتحرك مع تحرك الرياح العالمية

مفهوم المواطنة

يجد الباحث تنوعًا في تعريف مفهوم المواطنة، فقد وقع الاختلاف في تحديد هذا المفهوم.

إنَّ مفهوم المواطنة، هو من أهم المفاهيم التي شهدت تطورًا متوازيًا مع تطور المجتمعات والدول، هذا التطور الذي ارتبط بشكل أساس بتطور حقوق الإنسان وانعكاسات العولمة على المجتمع الإنساني.كما عرف هذا المفهوم جدلاً واسعًا منذ تطور البشرية والقوانين الوضعية بما شمله من غموض في فترات زمنية متفاوتة خاصة في البيئة الغربية.

وعلى أية حال؛ أتنشأ المواطنة في حالة جغرافية، في حالة وطن، فإذا كان عندي وطن تنشأ فيه علاقة يُقال لها: **(المواطنة)**.

فالمواطنة علاقة في وطن، علاقة في رقعة جغرافية، ولا تمثل المواطنة حالة شعور فحسب، إنما تمثل رابطة أو تفاهمًا أو تعاقدًا؛ من أجل التعايش السلمي، لكن ما حدود هذه الرابطة..؟.

المواطنة لغةً:

ورد في لسان العرب لابن منظور بأنَّ مفهوم الوطن يشير إلى المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، ومحله الذي يأوي إليه، واتخذه سكنًا يقيم فيه، ووطن بالمكان يَطن وأوطن: حلَّ فيه، وأقام به، والوطن: منزل الإقامة ومربط البقر والغنم، والجمع: أوطان، وأوطن: أقام، وأطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطنًا[1].

لا بد من طرح قضية المواطنة من خلال هذا الإطار الحريص على وحدة الأمة، الحريص على غناء الثقافة والمعرفة، المُدرك لماضي هذه الأمة، المستشرف لمستقبلها الواعد

إنَّ مفهوم المواطنة، هو من أهم المفاهيم التي شهدت تطورًا متوازيًا مع تطور المجتمعات والدول، هذا التطور الذي ارتبط بشكل أساس بتطور حقوق الإنسان وانعكاسات العولمة على المجتمع الإنساني

المواطنة علاقة في وطن، علاقة في رقعة جغرافية، ولا تمثل المواطنة حالة شعور فحسب، إنما تمثل رابطة أو تفاهمًا أو تعاقدًا؛ من أجل التعايش السلمي، لكن ما حدود هذه الرابطة..؟.

وورد في مختار الصحاح بأنه: "هو محل الإنسان، أوطان الغنم مرابطها، أرض الوطن وطنها واستوطنها وأقطنها، أي؛ اتخذها وطنًا وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد، والوطن قد يعني مشهدًا من مشاهد الحرب[2]، فلقد قال تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾ (التوبة: 25).

المواطنة اصطلاحًا:

إنَّ المواطنة هي صفة ينالها الفرد من الناس؛ ليتمتع بالمشاركة الكاملة في دولة لها حدود إقليمية.. هذا جانب اجتماعي، وعلاقة اجتماعية ما بين الفرد والدولة، مع الإشارة إلى أنَّ مفهوم الدولة له بُعدٌ جغرافي أصيل.

ولقد عرفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها: "العلاقة بين الفرد والدولة كما يحددها القانون لتلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق فيها"[3].

والمواطنة هي التزامات متبادلة ما بين الأشخاص والدولة.. فمفهوم الدولة مفهوم جغرافي، فالمواطنة تنشأ في هذه التربة، ولا تتصور مواطنة بعيدة عن مفهوم الوطن أو مفهوم التراب أو مفهوم الإقليم. وهذا المفهوم يركز على الجانب القانوني من خلال التعريف بالالتزامات.

كما وتعرف المواطنة بأنها: "مجموعة من الحقوق والواجبات يتمتع بها ويلتزم بها في الوقت ذاته كل طرف من أطراف هذه العلاقة. وأطراف هذه العلاقة على الفرد والدولة. وهذا التعريف يركز على البنية القانونية للمواطنة".

نلاحظ من التعريفات السابقة.. أنَّ المواطنة لا تنشأ بالمعنى الصحيح حيث لا دولة، ولا تنشأ بالمعنى الصحيح حيث لا وطن، وليس الوطن مجرد الرقعة الجغرافية، وإنْ كان ذلك على غاية من الأهمية، بل هو مجمل الأنشطة والفعاليات التي تتم داخل أرض الوطن، فغياب الأوطان ولو من حيث المعنى – قد يوجد الوطن التراب، ولكن لا يوجد الوطن الحقيقي الذي يعج بالأنشطة، كما في حالات القمع والاضطهاد – ففي هذه الحالة يصعب

أنْ تقوم علاقة مواطنة صحيحة. لا بد لكي تنشأ المواطنة الصحيحة من أنْ تُمارس الأنشطة الوطنية بحق، بعيدًا عن النفاق الحزبي، والمزاودات الانتهازية.

وهناك علاقات أخرى كالأخوة.. تتجاوز الوطن، وتتجاوز المكان، بل وتتجاوز الزمان أيضًا.

إنَّ مفهوم الأخوة مختلف عن المواطنة –رُغمَّ أنَّ الشريعة تؤيده– فعندما نتكلم عن الأخوة الإسلامية فنحن نتكلم عن رابطة معنوية وليس عن رابطة التزامية. فالأخوة رابطة معنوية تتجاوز الزمان والمكان، فتنشأ علاقة الأخوة ما بين المسلم والمسلم أيًا كان وطن هذا المسلم، وأيًا كان زمان هذا المسلم.

فالأخوة مفهوم ديني صِرف، ولا ينبغي أنْ يُخلط ما بين المواطنة والأخوة؛ فإنَّ المواطنة مفهوم سياسي قانوني لم يقم على أساس ديني.

إنَّ المواطنة هي صفة ينالها الفرد من الناس؛ ليتمتع بالمشاركة الكاملة في دولة لها حدود إقليمية.. هذا جانب اجتماعي، وعلاقة اجتماعية ما بين الفرد والدولة، مع الإشارة إلى أنَّ مفهوم الدولة له بُعدٌ جغرافي أصيل.

مفهوم الدولة مفهوم جغرافي، فالمواطنة تنشأ في هذه التربة، ولا تتصور مواطنة بعيدة عن مفهوم الوطن أو مفهوم الترابط أو مفهوم الإقليم

التعريف الإسلامي للمواطنة:

ينطلق التعريف الإسلامي للمواطنة من خلال القواعد والأسس التي تتبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة، وهما: الوطن، والمواطن، وبالتالي؛ فإنَّ الشريعة الإسلامية ترى أنَّ المواطنة هي تعبير عن الصلة بين المسلم كفرد وعناصر الأمة وهي الأفراد المسلمين، والحاكم والإمام، وتُتوج هذه الصلات جميعًا الصلة التي تجمع بين المسلمين وحكامهم من جهة، وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى، وبمعنى آخر، فإنَّ المواطنة هي تعبير عن طبيعة الصلات وجوهرها، القائمة بين دار الإسلام، وهي: (وطن الإسلام)، وبين من يقيمون على هذا الوطن، أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم[4].

ويُعرف (القحطاني) المواطنة من المنظور الإسلامي بأنها: "مجموعة العلاقات، والروابط، والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام، وكل من يقطن هذه الدار، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين"[5].

أنَّ المواطنة لا تنشأ بالمعنى الصحيح حيث لا دولة، ولا تنشأ بالمعنى الصحيح حيث لا وطن، وليس الوطن مجرد الرقعة الجغرافية، وإنْ كان ذلك على غاية من الأهمية

إنَّ مفهوم الأخوة مختلف عن المواطنة –رُغمَ أنَّ الشريعة تؤيده– فعندما نتكلم عن الأخوة الإسلامية فنحن نتكلم عن رابطة معنوية وليس عن رابطة التزامية

التعريف النفسي للمواطنة:

إنَّ مفهوم المواطنة من المفاهيم التي جلبت جدلاً كبيرًا، لذا؛ يصعب أنْ نجد تعريفًا لها يرضى به كل المختصين في هذا المجال، وبالتالي يختلف مفهوم المواطنة تبعًا للزاوية التي نتناولها منها، **وما يهمنا هنا هو الناحية النفسية والاجتماعية.**

حيث تعرف المواطنة بأنها المشاركة والارتباط الكامل بين الإنسان ووطنه المبني على أسس من العقيدة والقيم والمبادئ والأخلاق، والتمتع بالحقوق وأداء الواجبات بعدل ومساواة، ينجم عنه شعورًا بالفخر وشرف الانتماء لذلك الوطن، وفي ظل علاقة تبادلية مثمرة تحقق الأمن والسلامة والرقي والازدهار للوطن والمواطن في جميع المجالات[6].

كما وجاء في قاموس علم الاجتماع أنها: "مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون"[7].

ونحن إذْ نعرف المواطنة من الناحية النفسية بأنها: "التصرف بمسئولية تجاه أفراد المجتمع، والتحلي بالنماذج السلوكية المرغوبة اجتماعيًا، والقبول النفسي والالتزام الأساس بمبدأ المواطنة، الأمر الذي يتطلب المشاركة القائمة على الفهم الواعي، والتفاهم، وقبول الحقوق والمسئوليات، والشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة، ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى جهد في سبيل بنائهما، والاستعداد للموت دفاعًا عنهما.

إنَّ المواطنة علاقة والتزام له صبغة نفسية وصبغة سياسية وصبغة اجتماعية، وهي صفة ينالها الفرد؛ ليتمتع بالمشاركة في دولة، أو التزامات متبادلة ما بين الأشخاص والدولة، أو التعبير الاجتماعي لعملية انتماء

الإنسان، عملية انتماء تتجسد في قضية المواطنة، وينتمي إلى موطن، ولا يمكن أنْ يُتصور الموطن بوصفه ترابًا كما بينت ابتداءً، ولكنني أركز على مفهوم التراب من أجل مفهوم الجغرافيا، وليس من أجل امتهان الوطن.

فليس الوطن مجرد تراب ولا جغرافيا، الوطن حالة معقدة متقاطعة ما بين الإنسان، والأرض (الجغرافيا)، والعلاقات، والثقافات، بل أكثر من ذلك: ما بين الإنسان والحضارة.

ومدى اندماج الإنسان مع الأرض أمر غريب جدًا، حتى مع ما يأكل، فأَكْلُ الإنسان من نبات وطنه، وزراعتهُ في الأرض التي يحيا فيها كل ذلك لا ينكر تفاعله معه أبدًا.. إذْ يتفاعل مع الطعام في الرقعة الجغرافية التي يحيا فيها، وفي منطقة الهواء الذي يتنفس منه هو والنبات والحيوان الذي يأكل منه.

إنَّ هذا كله يُكسب الإنسان انسجامًا صحيًا زيادة على ما لو كان هذا الطعام من غير مكان إقامته.. فهناك اندماج وتفاعلٌ في هذه الحياة تقوم عليها العلاقة بين الإنسان وما يأكل أو يشرب، مما له ارتباط بمفهوم الوطن.

ومنه؛ فإنَّ المواطنة علاقة والتزام له صبغة نفسية، واجتماعية، وقانونية، وسياسية، وهي صفة ينالها الفرد ليتمتع بالمشاركة الفعالة في المجتمع الذي يعيش فيه. وللمواطنة مكونات أساسية، منها: الانتماء، والحقوق، والواجبات، والمشاركة الاجتماعية، والقيم العامة.

البُنى التي يشكلها مفهوم المواطنة:

من خلال التعريفات التي ذكرتُها هناك محاور أو بُنى لتعريف المواطنة، أذكرها فيما يلي:

1) البنية النفسية الاجتماعية:

للمواطنة بنية رئيسة مُهمة غير البنية السياسية، وغير البنية القانونية، وهي البنية النفسية الاجتماعية.

الأخوة رابطة معنوية تتجاوز الزمان والمكان، فتنشأ علاقة الأخوة ما بين المسلم والمسلم أيًا كان وطن هذا المسلم، وأيًا كان زمان هذا المسلم

الأخوة مفهوم ديني صِرف، ولا ينبغي أنْ يُخلط ما بين المواطنة والأخوة؛ فإنَّ المواطنة مفهوم سياسي قانوني لم يقم على أساس ديني.

يُعرف (القحطاني) المواطنة من المنظور الإسلامي بأنها: "مجموعة العلاقات، والروابط، والصلات التي تنشأ بين دار الإسلام، وكل من يقطن هذه الدار، سواء أكانوا مسلمين أم ذميين أم مستأمنين

تعرف المواطنة بأنها المشاركة والارتباط الكامل بين الإنسان ووطنه المبني على أسس من العقيدة والقيم والمبادئ والأخلاق، والتمتع بالحقوق وأداء الواجبات بعدل ومساواة، ينجم عنه شعورًا بالفخر وشرف الانتماء لذلك الوطن

نحن إذْ نعرف المواطنة من الناحية النفسية بأنها: "التصرف بمسئولية تجاه أفراد المجتمع، والتحلي بالنماذج السلوكية المرغوبة اجتماعيًا

وعند تأملنا لمفهوم المواطنة من الناحية النفسية والاجتماعية نجد أنها بنية ذات عناصر ثلاثة، نوجزها فيما يلي:

أ) **العنصر المعرفي:** الذي يقوم على أساس معرفتنا بالوطن، ومعرفتنا بحقوق الوطن تجاهنا، ومعرفتنا بحقوقنا تجاه الوطن.

ب) **العنصر الوجداني:** والذي يتجلى في حب الوطن وفي المشاعر تجاه الأرض، وهذا ما يسمى بالوطنية. فالجانب الوجداني للمواطنة يتجلى في مفهوم الوطنية.

ج) **العنصر السلوكي:** والذي يتجلى في التعبير العملي عن حقوق الوطن على أبنائه، كالدفاع عن الوطن، والدفاع عن المواطنين، والدفاع عن حقوقهم، والدفاع عن حقوق الدولة.

2) البنية السياسية

ويُقصد بذلك بناء مفهوم المواطنة على معنى سياسي، ومِن أبرز مَن أَظهر هذا البُعد من الباحثين **(جون باتريك)**، فَبينَّ أنَّ المواطنة ذات بُعد سياسي، وعَمَّقَ هذا البعد؛ لخدمة ما يُسمى بالديمقراطية.

3) البنية القانونية

هناك توجه آخر هو توجه قانوني، نَظَر إلى المواطنة بوصفها حالة التزام ما بين الفرد والدولة، فالفرد ملتزم أمام الدولة، والدولة ملتزمة أمام الفرد، وهذه هي الحالة القانونية.

نعم لها سمة سياسية في جوانب، لكن قيام التعريف على الالتزام واضح في إظهار الحالة القانونية، وهنا تنشأ حقوق المواطن، وتنشأ واجبات المواطن، بل تنشأ حتى حقوق الإنسان. وحقوق الإنسان –بوصفها مفهومًا– هي قديمة، وأما بوصفها مصطلحًا فقد أُصَّلَ وأخذ حجمه النهائي وتجلى بقوة بعد إعلان سان فرانسيسكو عام 1948 حيث صارت حقوق الإنسان شِرعة دولية، ونُظِّمت من أجلها مؤتمرات دولية كثيرة. فعندما نتكلم عن المواطنة من ناحية الالتزام فإننا نتكلم عن الحقوق والواجبات.

إنَّ المواطنة علاقة والتزام له صبغة نفسية وصبغة سياسية وصبغة اجتماعية، وهي صفة ينالها الفرد؛ ليتمتع بالمشاركة في دولة، أو التزامات متبادلة ما بين الأشخاص والدولة، أو التعبير الاجتماعي لعملية انتماء الإنسان

ليس الوطن مجرد تراب ولا جغرافيا، الوطن حالة معقدة متقاطعة ما بين الإنسان، والأرض (الجغرافيا)، والعلاقات، والثقافات، بل أكثر من ذلك: ما بين الإنسان والحضارة

نلاحظ مما سبق أنَّ هناك بُنى متعددة لمفهوم المواطنة، تتجلى هذه البنى في هذه المحاور الثلاثة: والنفسية الاجتماعية، والسياسية، والقانونية.

وكل فريق من الباحثين سلك في دراسة المواطنة مذهبًا اتجه فيه إلى بنية من بنى المواطنة. أما في الرؤية الإسلامية، فإنَّ قضية المواطنة تقوم على هذه البنى كافة، تقوم على أساس من هذه البنى متآزرة في البُعد النفسي الاجتماعي، وفي البُعد السياسي، وفي البُعد القانوني بكل جوانب القانون، وهذا يتجاوز مجرد الالتزام، بل يدخل فيه حتى القانون الدستوري.

إنَّ المواطنة في التصور الإسلامي تُبنى على هذه الأشياء متكاملة، ولعلَّ الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة المنورة، وأَسس من خلالها قواعد مجتمع المدينة المنورة، تدل على ذلك.

وقد تواتر النقل عن هذه الصحيفة، وأنَّ هناك التزامًا أو صحيفة كتبها النبي ﷺ لما وصل المدينة المنورة، وأرسى من خلالها أشياء كثيرة تبلور مفهوم المواطنة معها.

ولا شك في أنَّ ضرورات هذه الصحيفة تجلتْ في المدينة من ناحيتين:

- **الناحية الأولى:** لوجود الأرض التي شكلت الوطن الجديد.
- **الناحية الثانية:** التنوع الثقافي، فإنَّ المدينة المنورة كانت تضم آنذاك:

من الناحية الدينية:

- المسلمين.
- اليهود.
- الوثنيين الذين لم يؤمنوا بعد من الأوس والخزرج.

ومن الناحية العِرقية كانت تضم:

- المهاجرين، وهم قبائل عدنانية.
- الأنصار، وهم قبائل قحطانية.

- اليهود، وهم قبائل سامية.

فوُجد لدينا تنوع بشري من ناحية الاعتقاد، وتنوع بشري من الناحية العِرقية، فهناك اثنيات، فبرزت ضرورة ما يُسمى في اللغة المعاصرة باسم **(المواطنة)**. وقد أرسى النبي ﷺ قواعد ذلك من خلال تلك الوثيقة التي كتبها أول ما وصل إلى المدينة المنورة.

وقد تعددت الألفاظ المعبِّرة عن هذه الوثيقة فيما نقله المحدثون، فمنهم من أتى بها مطولة، ومنهم من اجتزأ منها، ومنهم من ذكر أشياء لم يذكرها غيره تفرد بها كليًا، لكنها بالجملة وثيقة متواترة من حيث أصلها، أما من حيث التفصيلات فلم تتواتر إلى النبي ﷺ.

تمثل هذه الوثيقة دستورًا بُنيتْ عليه الدولة الإسلامية في المهد الأول، ولا تزال بما تحمل من مفاهيم قد سبقت زمانها، ذلك الزمان الذي كانت فيه الثقافة للمستعِلي، لا أقول الثقافة فقط، بل أقول: السيادة كانت للمستعلي.

وقد سبق النبي ﷺ زمانه في ذلك الأمر، ولست أبالغ إذا قلتُ: إنَّ بعض الشرائع المعاصرة ما قدمت من حقوق الإنسان ما قد قُدَّم في هذه الوثيقة، التي تعُد من النصوص الشرعية الأولى.

وأقول تصريحًا وليس تلميحًا: إنَّ النص الشرعي قد سبق الشرائع الحالية، وميثاق سان فرانسيسكو مع ما قُدم من بنود لا تتعارض في جملتها مع النصوص الشرعية – بل معظمُها من حيث التفصيل أيضًا لا يتعارض– قد أنقص من حقوق الإنسان أشياء كثيرة جاءت في الشريعة الإسلامية.

وليس هذا غريبًا فإنَّ الشريعة في مجال حقوق الإنسان قد سبقت الشرائع المعاصرة، وفى هذا المساق أتحرج؛ لأنني لا أريد أنْ أُسوِّقَ للإسلام، فهو لا يحتاج تسويقًا، وإنما أتكلم من ناحية أكاديمية بحثية، فليست القضية قضية تسويق، وإنما لها علاقة بالعَرض المقارن.

المواطنة علاقة والتزام له صبغة نفسية، واجتماعية، وقانونية، وسياسية، وهي صفة ينالها الفرد ليتمتع بالمشاركة الفعالة في المجتمع الذي يعيش فيه

هناك توجه آخر هو توجه قانوني، نَظَر إلى المواطنة بوصفها حالة التزام ما بين الفرد والدولة، فالفرد ملتزم أمام الدولة، والدولة ملتزمة أمام الفرد، وهذه هي الحالة القانونية

هناك بُنى متعددة لمفهوم المواطنة، تتجلى هذه البنى في هذه المحاور الثلاثة: والنفسية الاجتماعية، والسياسية، والقانونية.

إنَّ المواطنة في التصور الإسلامي تُبنى على هذه الأشياء متكاملة، ولعلَّ الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة المنورة، وأسس من خلالها قواعد مجتمع المدينة المنورة، تدل على ذلك

قد سبق النبي ﷺ زمانه في ذلك الأمر، ولست أبالغ إذا قلتُ: إنَّ بعض الشرائع المعاصرة ما قدمت من حقوق الإنسان ما قد قُدِّم في هذه الوثيقة، التي تعُد من النصوص الشرعية الأولى

فالشرعة الدولية قدمت حقوقًا معروفة جدًا وناضجة ومتقدمة، ولكن للمقارنة يكفى أنْ نعلم أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف بحقوق المرأة قبل عام 1920م!!!.

يكفى أنْ نعلم أنَّ فرنسا قبل الثورة الفرنسية لم تعترف بحقوق المرأة..!! بينما كان ذلك في الإسلام قديمًا، وليس تأصيلاً، بل كان ذلك موجودًا ممارسة ومؤصلًا، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (التوبة: ٧١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شأنْ عام، فكان المسلمون ذكورًا ونساءً يمارسون الحق السياسي، ثم يُطرح الموضوع اليوم وكأنه بعيد عن نسيج الإسلام..!!.

من الغريب جدًا أنْ تطرح اليوم قضية حق الانتخاب للمرأة، أو قيادة المرأة للسيارة، أو... ثم يُسبغ عليه هالة شرعية. فهذه أعرف في بيئات معينة لا ينبغي أنْ تتورط المؤسسة الدينية في أنْ تُصدر فتاوى لأعراف وتتبناها على أنها من الشريعة، أو على الأقل إذا لم تتبنها فإنها تقدم للجمهور إيهامًا بأنها رؤية شرعية.

فلذلك لا يُعنَى الشرع بمثل هذه الطروحات، تمامًا كحالة صلاة المرأة في الولايات المتحدة، فإمامة (آمنة ودود) وهي حالة عرفية ليست حالة شرعية، وسواء أفتى المفتى أم لم يفت تريد (آمنة ودود) أنْ تصلى إمامًا بالنساء والرجال؛ لأنَّ عرف تلك البلاد يتماشى مع هذه القضية، يتماشى أنْ تصلى المرأة إمامة بالرجال، لكنْ أنْ تتورط المؤسسة الدينية في هذا بوصفها مرجعًا فتصدر الفتاوى أو نحوها بالجواز فأمر غير مستساغ، ولا أَدَلَّ على ذلك أنَّ أصحاب القضية أنفسَهم لم يسألوا عن الحكم الشرعي، ولا يعنيهم ذلك.

الكتاب العربي"نفساني" :العدد 86 - 2025

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2025

نفساني
NAFSSANY
THE ARAB BOOK OF PSYCHOLOGICAL SCIENCES
86
2025
Towards An Arab School of Psychological Sciences

د. عبد الفتاح دويدار

الاختصاص: أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية / جمهورية مصر العربية .

المؤهلات العلمية: درجة دكتوراه الفلسفة في علم النفس.

- **الوظيفة**
  - معيد Administrator (مكلف) بقسم علم النفس بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية في / 11 / 1978 م
  - مدرس مساعد Assistant Lecturer بقسم علم النفس بكلية الآداب– جامعة الإسكندرية في 7 / 1984 /12 م.
  - مدرس Lecturer بقسم علم النفس بكلية الآداب– جامعة الإسكندرية في 30 / 8 / 1988م .
  - أعير من جامعة الإسكندرية للعمل بجامعة بيروت العربية بالجمهورية اللبنانية عضواً بهيئة التدريس لمدة أربع سنوات خلال الأعوام الجامعية 1991 / 1990 م – 1995 / 1994 م .
  - أستاذ مساعد (أستاذ مشارك) Associate Professor بقسم علم النفس اعتباراً من 1995 / 2 / 28 م
  - رئيساً لقسم علم النفس بكلية الآداب– جامعة الإسكندرية في المدة من 1996 حتى 1997.
  - أعير أستاذاً مشاركاً من جامعة الإسكندرية للعمل بجامعة الإمارات العربية المتحدة في المدة من 2000 / 9 / 2 م إلى 2002 / 9 / 1 م .
  - أستاذ Professor بقسم علم النفس بكلية الآداب– جامعة الإسكندرية في 2000 / 11 / 28 م .
  - أعير للعمل بجامعة قاريونس – بنغازي – ليبيا اعتبارا من 2005/10/01
  - رئيسا لقسم علم النفس كلية الآداب – جامعة الأسكندرية اعتبارا من 6/19/ 2008 وحتى الان .
- **الجوائز**
  - حائز على الجائزة التقديرية للباحث المتميز في العلوم الإنسانية والاجتماعية بتاريخ أول / مايو / 2002 م من جامعة الإمارات العربية المتحدة بدولة الإمارات في العام الجامعي 2002 / 2001 م
  - حائز علي جائزة مسابقة مبارك العالمية للسلام والتنمية من منظمة الكتاب الأفريقيين والأسيويين بالقاهرة في 2005/9/25
  - الفائز بالتكريم بلقب " الراسخون في علوم وطب النفس " للعام 2025، من مؤسسة العلوم النفسية العربية (تونس)

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2025